يقول الفيلسوف رينيه ديكارت **"قراءة الكتب الجيدة مثل محادثة أحسن رجال من القرون الماضية".**

يتعامل الناس بشكل عام مع القراءة والفكر من عدة منظورات ولكن في النهاية هل القراءة هدف ام غاية؟

القراءة عملية عقلية تغذي روح الانسان وتؤثر على عقله ,افكاره ,وعلى نظرته لمن حوله ولكن ينبغي التنبه لعدة امور في قضية القراءة سواء كان هدفها مجرد الحصول على بعض المعلومات والتسلية او كان هدفها تكوين عقلية فكرية لتنقد افكار الاخرين وربما لتكتب شيئا فيما بعد ....

كما ان الانسان يغذي بدنه بالطعام الذي يقويه ويعينه ويتلذذ به احيانا فان الامر نفسه موجود في تغذية العقل فقد تقرأ ما يفيدك ويزيدك وعيا ونضجا وقد تقرأ ما فيه ما فيه انحرافات فكرية او معلومات مكذوبة ولذا يجب الانتباه لمن تقرأ ولماذا تقرأ وكيف تقرأ فمن يدري ربما تقتني كتابا لتقراه وهو يحوي سما معرفيا بداخله !

في الحقيقة اشعر بانه يجب التنبيه على مثل هذه الامور وذلك بسبب ضعف العقلية النقدية عند الناس عامة وعند القارئ المبتدئ خاصة فعندما تختار كتابا لتستخرج منه فكرا ومعرفة تريد ان تنمي نفسك بها فكيف ستعرف اذا ما كان ما تقرأه صحيحا ؟

لا اقصد ان تكون شكاكا لدرجة مبالغ فيه حتى ديكارت نفسه لم يكن لديه ذلك الشك العشوائي او الشك الدائم في كل شيئ فقد كان يستبعد موضوع وجود الله من الشك كونها حقيقة لا يمكن انكارها وانها حقيقة بدهية ومغروزة في فطرة كل انسان .

تجد ذلك مثلاً حاضراً في قضايا تتعلق بالاديان .

الاسلام تعامل مع هذا الامر ايضا بشكل منهجي سليم فمثلا قوله تعالى :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (104)

في هذه الاية رد على من يدعي ان الاسلام يدعو الى عدم التفكر والنظر واتباع الحق بل الاسلام يحذرنا من ان نتبع غيرنا اتباعا اعمى وتجد في القراءن بكثرة

مطالبة غير المسلمين بجلب البرهان والدليل ودعوة الناس للتفكر والتدبر والنظر في ايات الله الكونية والنقلية.

في الاسلام ليس مطلوب من الانسان ان يشك في كل شيء فالإنسان مطالب ان يعرف ما رباه عليه ابواه هل هو منطقي ام لا ويجب الانتباه هنا هل علي ان افكر وابحث في كل تفصيلة ؟

في الحقيقة هذا امر صعب جدا وغير سليم ولكن الصواب ان تبحث في الامور الاساسية العامة لتعرف ان كنت على باطل ام لا وفي نظري مسألة مثل قضية الايمان والاديان سهلة اكثر من غيرها, فمعرفة الله فطرية وبدهية لكل عاقل وان نازع فيها احد فهذا لا ينفي انها حقيقة مثبتة منطقيا وعقليا وفطريا ومن ينكرها ينكر مبادئ لا يمكن لعاقل ان يستغني عنها كالسببية واستحالة اجتماع الضدين فهل وجود من ينكر السببية يسلب منها صحتها وقطعيتها !

اما بالنسبة لحوار الاديان فالأمر ايضا سهل , وواضح لكل الناس ان الديانات حاليا مختلفة فيما بينها في امور جوهرية وهذا يجعل الحق في واحد منها فقط وليس في اكثر من ذلك ومن يدعي ان كتابه مقدس من عند الله لا تعارض فيه وانه وحي من خالق السموات العليم الحكيم فمن السهل محاكمته .

هل من الصعب عليك ان تفرق بين ما كتبه خالق السموات وبين ما كتبه بشري او ما كان وحيا ودخل عليه التحريف ؟

بامكانك بكل سهولة ان تنظر في اساس كل فكر لتعرف مدى عقلانيته وصدقه وترى ادلته ومنهجه ومدى اتساق اطروحاته فقط اطرح عليه الاسئلة الجوهرية وانظر اجابته عليها ....

من هو الله ؟

هل يبدو لك سؤالا سهلا ؟

حسنا ولكنه ليس كذلك عند غيرك فقد تجب انت عليه باية او اثنتين او بجملة واحدة قصيرة واضحة تجيبها انت وكل من يعتنق فكرك بكل سهولة بينما غيرك قد يواجه مشكلة فعنده ابسط امر واظهر حقيقة في الوجود لا يستطيع التدليل عليها ومعرفة من هي بشمل واضح وانما قد يحتاج في الاجابة صفحات كثيرة وكلام كثير في

امور بعيدة عن الافكار والمعارف التي يشترك فيها كل الناس فليس الانسان مكلف بان يقرأ ويفهم نظريات الفلسفة والوجود او عالم فيزياء ليجيب عن سؤال من الله بل هي ابسط من ذلك بكثير وجوابها ايسر ما يكون ولكن كما قلت غيرك سيحتاج صفحات طوال ودخول في قضايا فلسفية او افكار غيبية تؤمن بها بدون دليل او تسلسل من الافكار بعضها غير قطعي وبعضها فيه خلاف بين ابناء الفكر او العقيدة او الطائفة الواحدة فهل هذا كله لاجابة ابسط سؤال يمكن معرفته بدون الحاجة لكل هذا بل وبعد كل هذا اصلا ستجد جوابا غير واضح , مبهم , غير مفهوم يعارض ابسط القواعد العقلية وكل هذا فقط لتقول من هو الله وليس في الحديث عن صفاته وافعاله .

يظن بعض الناس ان كونك تقرأ كتب معينة لاسماء مشهورة هذا يعني انك تتقدم معرفياً بالضرورة وهذا غير صحيح ألبتة فعلى فرض ان احدهم جاء فقرأ كتب معينة تخص السياسة والاقتصاد فقرأ بدايةً في الرأسمالية وقد ينحاز بعد قراءة كتاب او اثنين الى الرأسمالية على حساب الاشتراكية ولكن هل هذا كافي بدون ان يكون هناك دراسة حقيقية لاطروحات الفلسفتين وان يمتلك القارئ الادوات التي تتيح له فهم هذه الافكار وتقييمها !

بامكانه مثلاً ان ينحاز داخلياً فقط مع استمرار القراءة ولكن ان ينظر لفكر معين لمجرد قراءة سطحية فهذا يقع فيه كثر خاصة مع الفراغ المعرفي عند كثير من الناس والذي يتيح للمنتفخين فكرياً ودعاة التنوير والاصلاح أن يستقطبوا هؤلاء ليملؤوا ذاك الفراغ بافكارهم .

هنا يجب التنبه لأمر مهم وهو ان قراءتك انت كمبتدئ في القراءة بشكل عام وكشخص غير متخصص يجب ان لا تبني عليها تصورات واعتقادات بهذه السهولة خاصة مع افكار بشرية فيها نزاع واراء كثيرة مختلفة ومتشعبة .

وامر آخر يقع فيه كثير من الناس وهي مشكلة الثنائية فيحصر القارئ الحق بين الاثنين كأن يقول اما ان اختار الحزب السياسي الفلاني واما ان اختار الحزب الاخر

وكأن الحق لا يخرج عنهم ! ويتناسى القارئ امكانية ان يكون كلا الحزبين على خطأ.

وكما أن هناك فئة من الناس تتعامل بشكل خاطئ مع الشيوخ والعلماء حيث في السنين الاخيرة فقد كثير من الشباب في الشخصيات الدينية خاصة الدعاة وذلك بعد ان انكشفت وجوههم الحقيقية عندما تعرضوا لاختبار حقيقي ، ورغم ذلك لا ينبغي ان نتعامل مع هذا القضية كما وانها صدمة عاطفية نتوقف بسببها عن النظر والنقد المنطقي فيما بعد ونكتفي بالنظرة الاستبعادية لكل ما هو متعلق بالشيوخ والعلماء وايضا هنا يكمن خلل اخر وهو ان هذه الفئة من الناس يتعاملون مع الدعاة مشاهير الشاشات وكأنهم السلطة الدينية الاعلى وهذا غير صحيح فلا يوجد اصلاً طريقة توصلك لمثل هذا فلا توجد هذه السلطة التي تمثل الاسلام في القضايا الفكرية والانسانية وانما قد يكون هناك سلطة فقهية كدار الافتاء وحتى هذه ليست بهذا الوصف سلطة عليا تمثل الحق المطلق وتنفي جهود غيرها.

واغلب هذه الفئة يخلطون بين العلماء والدعاة اصلاً فكيف يتم زج العلماء بجانب الدعاة وكانهم صنف واحد وهل يعرف عامة هذه الفئة من العالم ومن الداعية !

وكما توجد هذه الفئة المتطرفة فكذلك توجد فئة اخرى متطرفة في الاتجاه المقابل تبحث عن شخصية تمثل قدوة لهم فيتخذوه العالم الذي يؤخذ بقوله في كل قضايا الامة ومع علمهم واقرارهم بان كل الناس بما فيهم العلماء معرضون للخطأ ولكن لا تراهم يلتزمون بذلك الا قليلاً ،احياناً بامكانك ان تكتشف هذا الامر بان ترى احد الشيوخ يقول رأيه في قضية ما وتتعرض للنقد فيأتي جماهير هذا العالم للدفاع عن عنه وقد ترى بعض من يدافع لا يفهم اصلا في المسألة التي يدافع فيها عن الشيخ ولكن هو لا يقبل ذلك ومثل هذا يضر شيخه اكثر مما ينفعه ومن امثلة ذلك ما يحصل مع الشيخ بسام جرار في قضية الاعجاز العددي فهو شيخ له كلام جميل في امور عديدة شرعية وسياسية ولكن هذا لا يمنع ان يتم انتقاده على اخطاءه وان تكون شدة النقد بحسب خطورة ما اخطأ

فيه ، "على هذا النحو انهمك بسام جرار في تحديد متى تنتهي دولة إسرائيل بطريقة لا علاقة لها بالأصول ولا الفقه ولا قواعد التفسير ، بل بطريقة تشبه فرقة القبالة اليهودية في تفسير نصوص التوراة المقدسة ، باعتباره رموزا وإشارات !.

إنه يحول سامعيه المخلصين له إلى دراويش يطلبون التحليل بواقعهم بطريقة العرافين والمشعوذين .!

ويبد ل علم السياسة بما يشبه الخط بالرمال ، والتنجيم. !

إن البؤس المعرفي يدفعهم إلى تعويض ذلك النقص بمخرافات موهومة ، فرجل يريد أن يحلل السياسة من باب الواقع بما يشبه الألغاز ! بتحويل الآيات إلى معادلات ، ونسبة الصواب فيها كنسبة النجاة في لعبة الروليت الروسية لربما. ! "

الخلاصة باختصار ان يجب عليك ان تكون متزناً واعياً لما تريد ان تقرأه وان تكون معاييرك بشكل جيد وان تطور ادواتك باستمرار حتى تستطيع القراءة بشكل اوسع .

وان تطور العقلية النقدية لديك وتتعامل مع ما تقرأ معتدل بدون تعصب او انحياز لمن تقرأ لهم بما في ذلك هذا المقال.